تفسير ابن كثير

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك { أوحينا إليك قرآنا عربيا } أي واضحا جليا بينا { لتنذر أم القرى } وهي مكة { ومن حولها } أي من سائر البلاد شرقا وغربا وسميت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عبد ا بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة [وا إنك لخير أرض ا وأحب أرض ا إلى ا ولولا أني أخرجت منك ما خرجت] هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله D : { وتنذر يوم الجمع } وهو يوم القيامة يجمع ا الأولين والاخرين في صعيد واحد وقوله تعالى : { لا ريب فيه } أي لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة وقوله جل وعلا : { فريق في الجنة وفريق في السعير } كقوله تعالى : { يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن } أي يغبن أهل الجنة أهل النار وكقوله D : { إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد } قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبد ا بن عمرو Bهما قال : خرج علينا رسول ا صلى ا عليه وسلّم وفي يده كتابان فقال : [أتدرون ما هذان الكتابان ؟] قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول ا قال صلى ا عليه وسلّم للذي في يمينه : [هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ـ ثم أجمل على آخرهم ـ لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ـ ثم قال صلى ا عليه وسلّم للذي في يساره : هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا] فقال أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلّم فلأي شيء نعمل إن كان هذا الأمر قد فرغ منه قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل] ثم قال صلى ا عليه وسلّم بيده فقبضها ثم قال [فرغ ربكم D من العباد ـ ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ـ ونبذ باليسرى وقال ـ فريق في السعير] وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن مانع الأصبحي عن عبد ا بن عمرو Bهما به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبي الزاهرية عن عبد ا بن عمرو Bهما عن النبي صلى

ا عليه وسلّم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها ـ ثم قال : فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من ا D ـ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد ا بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة Bهم فذكره .

ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد ا بن عمرو Bهما قال : إن ا تعالى يقول : إن ا تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المزود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا الموقوف أشبه بالصواب وا سبحانه وتعالى أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نضرة قال : إن رجلا من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلّم يقال له أبو عبد ا دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي فقالوا له ما يبكيك ؟ ألم يقل لك رسول ا صلى ا عليه وسلّم خذ من شاربك ثم أفره حتى تلقاني قال بلى ولكن سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إن ا تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي] فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة Bهم أجمعين وقوله تبارك وتعالى : { ولو شاء ا لجعلهم أمة واحدة } أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال D : { ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير } .

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارس عن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى E قال : يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه